الوعي الفريب بالزمن نتاج معاناة عميقة تلد فلقا غريبا يجعل الشاعر يحاول الامساك باللحظة وتحديد مكانها في تيار الزمن الدافق في لابداية ولانهاية ، وقد انتج هذا الوعي الحاد في قصيدة « الذي يأتي ولا يأتي » قلقا اكسب كل شيء توترا خاصا هو روح العمل كله ، ويدرك القارىء كيف انه كان يحاول الامساك بالظلال الهاربة التي تفلت من يده في حزن صامت ترثيها بنات الماء . وعبارة مثل « أبيع موتها » وأخرى مثل « وزورق الابد ـ مضى غداً ، وعاد بعد غد » ولا سيما الاولى تجسدان هذا الوعي بوضوح ، ولا شك ان هذا النوع من الوعي بالزمن يعطي شكل التأمل الذي وردت به القصيدة انطلاقا ضخما وتوترا عجيبا يهتز فوقه الانتظار بعنف . ومن اروع تلك الصور التي تمثل هذا الوعي ايضا ظلال عائشة التي تنسحب الى الخلف البعيد بقسوة وتلك العبارة التي تكررت اكثر من مرة وهي « ارم العماد ـ تغرق في ذاكرة الاحفاد » .

ان لنا ان نتحدث عن المضمون الذي توفره اتفه بدة : إن القصيدة الجيدة تشيد بالانسان في ذاته الاجتماعي والكوني وترد له كرامته وتزيل عن وجهه دمغة الذل والمهانة ، وهذا ما تفعله قصيدة « الذي يأتي ولا يأتي » فقد عرضت علينا الانسان الاعزل الجائع الذي يدفع كل الالام والسجون والاضطهاد ليحصل على شهادة ميلاده كانسان كريم في هذا الكون ، وفي جزء التوريث نرى الانسان وريث هذا العالم « يحوم حول سوره عريان ـ فاكهة محرمة » منسحقا مهانا ، ذاته محرمة عليه من « مدن بلا ربيع مظلمة ـ مفتوحة ، مستسلمة ـ تحيا على العتاب » لاهثا على قارعة الطريق « يبحث عن وظيفة شاغرة في صحف الصباح » تدير الارقام رأسه الذي فرغ حتى من الاحلام « يفرغ في خندق المساء ـ حياته الجوفاء » ولماذا لا يسميه باسمه ؟ انه كلب ! « يبحث عن مكان ـ يموت فيه صاغرا ، كالكلب ، بالمجان » .

ولكن خيط النور ينتصب في مقابل صورة الانسان تلك ، شامخ العنق ، ويرينا ما تحمله الايام للبشر من انتصار عظيم عندما « يحطمون بيضة النسر ويولدون » ، من كل هذه الاوجاع التي يكابدها الانسان . وخيط النور يبشر « بالذي يأتي » . ولا أعتقد ان هناك ما يبرر ان نجعل « الذي يأتي » شيئا غامضا كما قد يفهم من كلام الدكتور احسان عباس عنه في عدد الشعر الممتاز (مارس ١٩٦٦) من مجلة الاداب ، فهو كما قلنا ذلك النجم المنتظر الذي تكلم عنه الخيام بوضوح شديد في « محاكمة نيسابور » .

وبمجيء « الذي يأتي » يخيل الى المرء ان خيط النور سوف يستحيل الى بطولات في ذاكرة الانسان ، فقد انتهت كل آلامه ، الا ان التحدي العظيم عندما يعود الانسان الى صراعه الاصيل مع الطبيعه ، مع الموت الذي يخرج لسانه للانسان في هزيمته وانتصاره ويحكم عليه بالانتهاء في اعظم ساعات فرحه ، وهكذا تضعنا القصيدة وجها لوجه امام الذل الكوني .

ما موقف الانسان من هذه المهانة الكونية ؟ ان هذا السؤال هو الذي يوجه حقا الى القصيدة . فالرد على المهانة الكونية لا يكون الا بتأكيد الحياة في اطلاقها ، الامر الذي يقضي على سؤال يقول . « ولماذا لا ينسحب الانسان من الكون طالما ان الذل يلاحقه في كل الاحوال ؟! » .

والقصيدة وان لم تقم بهذا التأكيد على نحو مباشر الا انها توفر في النهاية حرية كبيرة نصل اليها فتقذف بنا مرغمين الى تأملات من شأنها ان تزيد من حدة ايكاريتنا التي تتخطى حتى شرط الموت من ناحية وتؤكد ان معاناتنا تبدأ من وجودنا الذي هو اكبر واشمل منها

واعتقد ان تبرير الحياة في مقابل الموت تبريرا واضحا هو الذي يعطي لخيط النور قيمته ، فشهداء الانسانية انما يحاولون ـ كما يقول تارو في رواية الطاعون لالبير كامو ـ ان يحققوا القداسة في كون لا اله فيه وليس هناك ما يدفع الى بلوغ تلك القداسة غير الاقتناع التام بالحياة .

القاهرة **خليل سليمان كلفت**

الرحيل

رؤيا الافاق تغيم بعينيَّ ولا أجد
دربا عبر الوطن
دربي .. والاشواك تحف به
وبه تتهدَّد حدود الزمنِ
وبطاقات السفر البلهاءْ
تقتات العمر ، وتقذفني
عبر بحور ، وصحارى ، وقرى عجفاءْ
عبر قتادِ الارق
وسهادي في تيه الافق
لا طيف ، لا نجم ، لا وهج صباح
يا ليل الغاب الافريقي
لا الدرب الاخضر ، لا زهو الاعشاب
لا الرعد ولا قرع طبولك حول النيرانْ
لا اللحن اللاهث كالبركانْ
في ليل « البنجر » .. في تيه طريقي
يزرع في دربي نجمة ليل
وينير البلور الازرق
فلعلي اقرأ .. طيف رسالة
بعض سطور ... رسالة
همس حنين ، .. ورسيس نداءْ
يا ليل التيه ، ويا ليلة منفايْ
لم يبق لدي سوى عود ثقاب
وبقايا حلم ... وسراب
تقتات العمر وتقذفني
عبر حدود الزمن
عبر بحور ، وصحاري ، وليالي سوداء
وغد لا أدريه
وسؤالي الحيران
عبر دروب التيه
لا ادريه ... فلقد آن رحيلي
يا الف سؤال ... وسؤالْ

برلين الشرقية **كاظم السماوي**